



سقوط
الأفندي



سميح القاسم

دار الآداب

سَمِيعُ الْقَاسِمِ

سَقُوطُ الْأَقْنَمَةِ ..

مَنْشُورَات دَارِ الْأَدَابِ - بَيْرُوت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩

ولو !

وطني يا قرطاً يتارجح
من أذن الكرة الأرضية
يا امرأة تفتح
فخذيها الريح الغربية
يا مجداف القارب
يا الولد الغائب
هل تنهض يوماً ما فياً ؟
هل تصبح وطناً عادياً ؟

ينبغي

وجه حريتي نطفة في السجون
قوس نصر النهار
ثغرة في جدار
والمقيمون في منزلي . اللاجئين
بعد حين
ساعة أو قرون
نأكل العشب عامين مما ترابي السطوح
ونسوي لنا بيرقا

من ضماد الجروح
كل صعب ، يهون
ولذا ينبغي ، ينبغي أن أكون !

المؤمنه

أعدموها قبل عشرين سنه
أنجبت أثناءها تسعة أطفالٍ

— وبعد ؟

— عاقراً صارت ،

فصارت مؤمنه

وأحبّتي كثيرا ..

ديمومة

كائنًا في العيون الخفيّة
كائنًا في بذار الأكف البعيدة
كائنًا في نخاع الجذوع المريدة
كائنًا في ركام القرى
في الصدى
في بروج الحمام الشقيّة
كائنًا في أغاني الشفاه الغريقة
كائنًا في بقايا سياج الحديقة

كائناتاً في هشيم السطوح
في رماد الحريقه
في غبار الخطى ، في وصايا الجروح
أكمل اليوم .. لا أبداً !

العائد

عاد من كل العواصم
عاد محمولا على الأكتافِ
من كل العواصم
وجهه المجهول من طمي بلادي
لم يزل يرشح ماء وبراعم
عاد في الفجر .. وعادت معه كل المواسم
وعلى جبهته جرح قديم
وعلى عينيه ضوء ، وصراط مستقيم

عاد .. فالباب يغني ، والدوالي والمهائم :
سيدي أجمل قادم !

سقوط الأقمعه

سقطتُ جميع الأقمعه
سقطت . فلأما رايتي تبقى ،
وكاسي المترعه
أو جشتي والزوبعه
سقطت جميع الأقمعه
سقطت قشور الماس عن عينيك
يا رجلا يصول بلا رجوله
يا سائقاً للموت أحلام القبيله

سقطت تماثيل الرخام
سقطت دموعك يا تماسيح التواريخ الطويله
سقطت ..

وأبراج الصقور الخادعت عشرين عام :
« أنا يا ضمير الأرض أبراج الحمام »
سقطت أغانيك الحزينة

والأساطير الذليله
يا حالماً بالأرض خادمة مطيعه
تعطيك من أختامها ما شئت
تكريساً لشهوتك الوضيعه
سقطت ممزقة على درب الرياح الأربعة
سقطت .. جميع .. الأقنعه !

فلأيّ ربّ بعد هذا اليوم تلجأ ؟
أيّ ربّ ،

سيبارك النابالم ، والنّصل الممزّق لحم شعبي ؟
منذا يبيعك صكّ غفرانٍ

ونابك في ذراعي

يا من تخاف من الشعاعِ

يا من يعزّ عليك نبض الخصب ،

في أرض الجياعِ

يا كلب صيد الكرش والغليون

يا سمسار ناطحة السحابِ

يا حارس النفط المدلّل

بين أحضان الذئابِ ؟ !

* * *

جعلوا شراييني أنابياً
لبترول الغزاة القادمين من الضباب
جعلوا شراييني أفاعي
جعلوا شراييني حبالاً
كبتُ شعبي الجريح الى النخاع
وحفرتُ من ملكوت بشر النفط
دربي للشعاع
يا من تخافُ من الشعاع
ونهشتُ بالأسنان بالأسنان
جدران الظلام
وهتفتُ بالجيل الممزق عبر بيداء الضياع :
باسم الحياة الى الأمام

الى الامام الى الامام ..
ويحيى نصلك في الظلام
وأشد خاصرتي ، وتبقى جبوتي ،
فوق الرغام
وتظل تصرخ :
« يا ضمير الناس ! من يحمي من العرب الرعاع
بيت الحزانى العائدين من الضياع ؟ »

وتشد نأبك في ذراعي
وأنا أشيد سدي العالي .. وأحلم
بالمدارس والمصانع والمراعي
يا من تخاف من المدارس والمصانع والمراعي

من حفنة القمح المبلل بالدموع وبالدماء
للكادحين من الصباح الى المساء
للتائرين من الجوع !

* * *

سقطت جميع الأقمعه
سقطت . فإما رايتي تبقى ،
وكأسي المترعه
أو جثتي والزوبعه
وروايتي يا مجلس الأمن الموقر
أصبحت عشرين فصلا
يا مجلس الأمن الموقر
أصبحت عشرين ليلا

عشرين زهرة برتقال
ذبلتُ على دوار قرينتنا المهينه
عشرين زهرة برتقال
جابت طوال الليل أرصفة المدينه
عشرين قافلة حزينه
خرجتُ مطاطة الجباه
للشرق - أذكر - للجنوب وللشمال
خرجتُ تفتّش عن إله
عشرين زهرة برتقال
ذُبحتُ هناك .. بلا قتال

وأنا ألوب ألوبُ في حمى عذابي

متمزق القدمين .. من بابٍ لبابٍ
وجهي احتقان محاربٍ
أنسوه تاريخ الحرابٍ
ووجوه أطفالي صحون فارغه

* * *

ناديت من عشرين عام
يا مجلس الأمن الموقر - آه -
من عشرين عام
واليوم ، عبر صواعق متربصات بالسلام
صوتي يجيئك بالبريد
من غابة الدم والحرائق والمرارة والخيام
صوتي يجيئك زهرة حمراء

في العام الجديد :

من يأتِ بيتي قاتلا

يرتد عن بيتي قتيلا !

* * *

يا مجلس الأمن القديم

صوتي يحييئك زهرة حمراء ،

من حقل الجريمه

فإلى اللقاء .. إلى اللقاء ..

يا مجلس الأمن القديم

أراك .. في القدس القديمه !

كلمة السر

— للحبر رائحةُ الدمِ —
* قلبي وديع مثل نسمة
وجهي تقي مثل غيمه
قربتُ أغلى ما لدي ،
إليك يا جدي الجميل !

— للحبر رائحةُ الدمِ —
* غنمي تظل نظيفة

شفتي تظلّ شريفةً
ويداي ، باسمك تكدحان ،
من الشروق الى الاصيل ..

– للحبر رائحة الدم –
* نَسَقْتُ مِنْ وَعْرِ حَدَاقٍ
وَنَحْتٍ مِنْ صَخْرِ مَطَارِقٍ
وَتَلَوْتُ مَا عِنْدِي مِنَ الصَّلَوَاتِ ،
فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ

– للحبر رائحة الدم –
* كَرَمِي الْفَسِيحِ ، بَدُونِ سَوَرٍ

أبواب بيتي ،
لا تخيب طارقاً في الزمهرير
زادي لكلّ فمٍ يسير

— للحبر رائحة الدم —

* قدموا من القرميد والفولاذ والدم والضباب
قدموا على تابوت تاريخي ،
وأجنحة الغراب
قدموا ، ولم تُجد الرقي
يا جديّ الأعمى ، ولم يُجد الكتاب
فارقد بنيك بموعظه

— للحبر رائحة الدم !

* قاسمتهم حزني وأرغفتي
وسقفي والثياب
لكنني لن أشطّر ابني اثنين
يا جدي الممزّق بالحراب
فارقد بنيك بموعظه

— للحبر .. رائحة الدم

* لكن قلبي طيبٌ
ويدي معودةٌ على المحراث يا جدي
وسيفي في القراب
من ألف عامٍ في القراب

فارقد بنيك بموعظه

— للحبر يا ولدي الحزين
للحبر .. هلاً تسمعون ؟
للحبر .. رائحة .. الدم !

لم أزل

مُدُّني محلولة الشَّعر
وراياتي غريبه
غير أنني يا ذراري الحبيبه
لم أزل أدفع في بنك الخصوبه
كل دين العالم الماضي ،
وأقساط الضريبه ا

لم يُضِيعْني صغيرا
ولذا ،
أحملُ من أرضٍ لأرضٍ -
دمه ، عبثي وإرثي
منذ أصبحتُ كبيرا !

الشقة المقصودة

كان في وُدِّيَ أن أسمعكم
قصةً عن عندليبٍ ميّت
كان في وُدِّيَ أن أسمعكم
قصةً ..
لو لم يقصّوا شفتي !

متو؟

حين تميل الشمس
مكسورة الظهر
أقول : كنا أمس
في أول الدهر

* * *

حين تميل الشمس
يا أم أولادي
أقول : كنا أمس

في أسفل الوادي

* * *

أُمِّي على الدربِ

محلولة الشعرِ

تقول : يا ربي

متى تميل الشمس

مكسورة الظهرِ ؟

حلول

أُطْلِعُ في الأمطار
أُطْلِعُ في البرق الأزرق
في النسمة ، في الإعصار
أُطْلِعُ من جرحٍ فتحتهُ قذيفه
في صدر جدار
أُطْلِعُ من عطش الآبار
أُطْلِعُ من قنطرة صامدة
في وجه الريح

من نصبة لوزٍ صامدةٍ

في وجه النار

أطلع من توقيع الحاكم في ذيل التصريح

من ظل عصي الشرطة أطلع

من محرمة لم تعرف غير الأدمع

من عشب الأرض المسروقه

من حقد الشفة المحروقه

من زحف مظاهرة عفويه

من قذف زجاجٍ وحجاره

في وجه الريح الوحشيه

أطلع من غيظ رفيق

أعرفه وقت الضيق

* * *

من لحمك .. أطلع
من رعبك .. أطلع
فبأي إله بعد اليوم تلوذ ؟

سمعتهم

قالوا ،

سمعتهمو .. وهم يتقلبون

من الحريق الى الحريق :

لا بدّ من يافا .. وإن طال الطريق !

الجواب

جعلوا جرحي دواءً
ولذا ،
فأنا اكتب شعري بشظيّه !

إذا لم

كل الذي يُقال ،
لغو ،

إذا لم يصنع الرجال !

أبدية

تتبدّل الأوراق من آن لآن
لكنّ جذع السنديان ..

خبز

القصّة الميراث
والأغنية القديمه
خبزٌ على مائدة الديومه
فلتدخل الأدمغة الخواء
ولتدخل الحناجر السقيمه
في ساعة الوضوء ،
حماماتك الدميمه
يا قلعة البكاء
يا مدينة الجريمه !

وطن العجائب السبعين

الحزن ياسمين
في وطن العجائب السبعين
والفقير موسيقى ،
وقتل الله في كمين
خبز ،
واستاذ اللغات الجهبذ العلّامه
والفقه والحكمة ،
في تكيّة السلامه

ججش ججج ،
والحزن ياممين
في وطن العجائب السبعين !

ركض في الساعات

يوم وُلدنا وُلد الرُفضُ
فاستبشري أيتها الأرضُ
عيوننا مفتوحةٌ في الدجى
ضلَّ على شيطانها الغمضُ
ويعبرُ التاريخ .. أحزانهُ
ركضُ ، وفي ساحاتنا ركضُ
نقول للمرهق في ليلنا
لا يصمد الليل .. إذا ومضُ !

نحن هنا .. نحن هنا .. فاهدأي
واستبشري أيتها الأرض !

قصائد مهربة

(في ميناء حيفا ، صادرت السلطات كل ما أحضره
الشاعر الآتي من مهرجان صوفيا ، من مطبوعات
ومخطوطات وصور .. ولكنها لم تستطع مصادرة وشم
الذكرى وهدير المجس ١) .

١ - وديع ١٩٤٨

— عندما ودعتهم ، قالوا : « غي أو فقير !
يرفض الرحلة للارض المضيئه
ريثا تغسل آثار الخطيئه »
كان هذا ، أمس ، من عشرين عام
كان هذا أمس ،
واليوم يقولون لابراج الحمام :
« عجبنا ! نحن تركناه صغير
كيف صار اليوم نسرا ،

يتحدى القمم السود وأنواء المصير ؟

— إسألوا حيي الذي ربيته عشرين عام
أيها الناس !

الذي ربيته من أجلكم عشرين عام
إسألوا حيي لكم

.. والحزن .. والسجن الكبير !

٢ _ فلسطينية ، هي صوفيا

تعرفين جميع الفصول
تعرفين الحديث الطويل
عن غد ضائع في توار يخنا المرعبه
تعرفين الذي أشتهي أن أقول
فارحميني !
ارحميني ..
ارحمي قامتي المتعبه !
لهجتي المتعبه

رايتي المتعبه
وتعالى .. نعش أو نمت ،
ساعة في العناق
طال .. طال الفراق
وأنا عائد بعد حين
للبلاد التي حزنها ياسمين
عائد .. للوثاق !

٣ - الجواب

قلت لي : ' هل ترى تعيش
إن أنا شئت ، في الألم ؟ '
فاذا بي ، بلا جيوش
أقهر الريح والحمم !

قلت لي : ' هل ترى تموت
إن أنا شئت ، في الألم ؟ '
فاستعارت في البيوت

وأجابت معي : « نعم ! »

لست أختار ، فالهوى
سيدي .. شئت أم أبيت
في دمي غاص ، وارتوى
وبأحزانه ارتويت !

٤ - مباع هو صوفيا

لا تقولي : الوداع !

فغداً نلتقي

والذي قال لي قبل عشرين عام :

« المآسي شراع ! »

ولذا ، لم أبع زورقي

ولذا .. لا تقولي الوداع

فغداً نلتقي !

٥ — حدث في الخامس من حزيران

يذكر القارئ ،
أو لا يذكر القارئ ،
ما كنا روينا مرارا
في الدواوين القديمه

يذكر القارئ
أو لا يذكر القارئ ،
لكننا أعدناه مرارا

في عبارات سليمة :

ضربة البرق التي تنقض في عرض الطريق
تغمر العابر بالضوء ،
ولو كان الحريق !
.....

يذكر القارئ ،
أو لا يذكر القارئ ،
لكني ، لكي يفهم كل الناس ما قلت ،
أعيد :

نحن ، في الخامس ،
من شهر حزيران ،
ولدنا من جديد !

٦ - يا قيصر الروم

يا قيصر الروم اقلوا : « الجار للجار »
وأنت دارٍ بما حملتني .. دارٍ
دمي يسيل ، ووجهي ضائع ، ويدي
مشلولة ، وفي سدّوه بالقارِ
وأنت دارٍ بما حملتني .. دارٍ
فاربط كلابك ، خذ عني جراحة
يطلون بالموت أبوابي وأشجاري
ماذا تريد ؟ وهذي جزيتي .. ذهب

من بيد نجد الى أعتابكم جار
يا قيصر الروم ! قالوا : « الجار للجار »
وأنت لي .. حطب التاريخ في ناري !

٧ - طائر الرعد

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمس
وجه تشوّه في غبار مناهج الدرس

ويكون أن يأتي
بعد انتحار الريح في صوتي
شيء .. روائعه بلا حد
شيء يسمى في الأغاني :

طائر الرعد ا

لا بدّ أن يأتي
فلقد بلغناها ،
بلغنا قمة الموت !!

قطو محض باطل

طمئنوا الغدر المبيت
أن صوتي ليس يكبت
وعلى موطنيء نعلي ،
كل صخر يتفتت

* * *

طمئنوا النار الغيبه
أن ناري أبدية
وعلى حضن رمادي

تولد الشمس الوفيه !

* * *

طمثنوا هوج الرياح -

أنها بعض سلاحى

رغمها ،

- تأتي لحقل ضربته -

باللقاح !

* * *

طمثنوا كل مطاويل

أن قتلى - محض باطل

فانا باقى ..

الى ما شئت ..

أحيا .. وأقاتل !

قسمات

عیدُ انا .. كالصخور
إذا حاولوا عصرها
وقاسِ انا كالنور
إذا حاولوا قهرها
وصلبُ انا .. كالجسور
إذا أثقلوا ظهرها
وحين أثور
تعيد البراكين لي سرها !

* * *

ولكنني طيب .. كالسنابل
إذا نشدوا خيرها !
وسمح أنا .. كالحائل
ولو أتعبوا زهرها
وعندي سخاء المعامل
وبين أصابع كفي
تسيل - إذا أسعفتني - جداول !

* * *

وأغفر ذنب العيون
إذا أيقظت سحرها
وراحت من الشرفات تغازل
وأغفر ذنب الجدائل

إذا استرسلت في المجون

وشاءت تقاتل !

وطفل أنا حين الحب ،

وعاصفة حين أغضب

.....

وحين أثور ،

تعيد البراكين لي سرها !!

مكافأة ..

مكافأتي للرياح العنيدة -

غداة تهز الخشب

غداة تبلّ وريده

- قطوف العنب !

فقولوا لها أن تبادر

وأن تحمل الماء في دربها

وتبني البيادر

وأن تحفظ الخصب في صلبها

* * *

مكافاتي للرياح العنيده
مهب جديد
لدنيا جديده !

أنا ضمير المتكلم

الذي التحم بالفعل الماضي الناقص

شهوة الكدح من الفجر ، وموآل الاياب
مسرب الوعر ، وآلاف الأكف السمر
ترتاح على مقبض باب
والمواعيد أنا ، زغرودة الميلاد
والدمع على تطريز منديل اغتراب
وأنا نعناعة التل
أنا النبع وغصن الورد

والمزrab والمدفأة المهجورة
السطح .. أنا سنبلة الحقل
الشجيرات .. ودوري القباب
كنت راعي الغنم الأسمر
والارغول ،
كنت النسمة المبتلة الاردان في البحر
الصواري . الرحلة الليلية .. الشط
انتظار الطفل في باب الغياب
وأنا قطعة أرض ،
سكة .. همة فلاح
رحيل في التراب
فاذا بيارة تطلع من لحمي

وأطفال وخبز وكتاب !

.

كنت أستاذ الرياضيات

والأعمى المغني والربابه

كنت فيما كنت .. خطاباً وصيادا

وصيحات وغابه

سائس الخيل . النواطير . الكروم

قارئ الأنهار ،

تلميذ الليالي والنجوم

سكنت تحت لحائي كل أصوات القبائل

سكنت تحت لحائي القرية التبنى

بريق العشب ،

رنات المذاري والمعاول
عبرت وجهي القديم
عربات البن والمسك
وآلاف القوافل ..
وضلوعي ،
قبل أن تصبح مصفاة لبتربول أرامكو
أنجبت جسراً ،
لآثينا ونيسابور والهند القديمه
عبرته الكتب الصفراء ،
في رحلتها المسكونة الدرب
بأشباح القرون المطفأة
وأضاءت فكري أحداق أوروبا البهيمه

فلماذا يغمرون الجسر بالنابالم
بالدمع .. بأشلائي .. بحقدي ؟
ولماذا يطردون الشمس عن ليل الجريمة ؟

.

منذ أدمى جبهتي عام وراء الأربعين
أيها العالم ، صارت رثتي
كير حداد حزين
واستحالت لغتي
جمرة . سوطاً . فدائياً . كمين
أيها العالم ، هل تسمع ؟
صارت زنبقاتي ،
زنبقاتي - آه - أبواقاً تدوي

لاحتراقي في خيام اللاجئين
وأنا كنت مرببها .. قروناً وقرون !

.

يسقط العام على العام
ووجهي في الغبار -
يسقط العام على العام
ويمتد حوارى
لهجتي جامعة كالفرس
وفي كالجرس
لم يهذه احتباس الصوت في القاعات ..
قاعات الوفود الكثر والياقات والوسكى
ولا استقبال أسياد كبار

يحملون الكوكب الأرضي تحت الابط
من باب مطار لمطار
لهجتي كالفرس
وفمي كالجرس
ولذا تصنع من جلدي السجاجيد
الستارات المماسح
في مقر الامم المتحده
ولذا تنهش أطفالى الجوارح
ولذا يكتب اعدامى على كل اللوائح
.....
حسناً .. للمرة العشرين : شكرا !
ذات يوم ،

في مقر الامم المتحدة
يضع العالم اكليلا من الشوك
على ذكرى صقور ومذابح
ذات يوم ،
بيدي أحسن تغيير الملامح !

انتظروني

عنقي على السكين يا وطني
ولكني أقول لك : انتظري !
ويداي خلف الظهر يا وطني
مقيّدتان ،
ولكني اغني
لك . آه يا جرحي . اغني !
« أنا لم اخنك .. فلا تخني
أنا لم أبعدك .. فلا تبعني ! »

وطن المزامير التعيسة والوجوه الضائعة
وطن الجذور الحاقده
وطن العواصف والصواعق والليالي الباردة
وطن البساتين السبية والأكف الضارعه
وطن القرى الأطلال والدم والبكاء
أشد أزرك ،
أم تراك تشد يا مغدور ازري ؟
وطن الأكاذيب القديمة والرؤى والأنبياء
أأكون سرك ،
أم تراك تكون يا مغدور سري ؟
وطن التمزق في المنافي والمذابح والملاجيء
وطن الحقائق والمطارات الغربية والموانئ

وطن الغضب

وطن اللهب

يا من ييوس يديك عبر دموعهم مليون لاجيء !

وطن المذلة والأسى والكبرياء

آمنت بالحب الذي يعطي ،

ويفنى في العطاء ..

ولذا ، اقول لك : انتظري !

عنقي على السكين ، لكني اقول لك :

نتظري ! !

بطاقة تذكير

انت لا تجهل عنواني وتاريخي واسمي
يا ابن عمي
فلماذا تسكب السم على بركة سمي ؟
أنت لا تجهل اصفادي واصفادك يا هذا !
ولا تجهل سجانك ، يا هذا ، وسجني !
فلماذا تسكب الزيت على جرة حزني ؟
يا ابن عمي
أنا لا اشعر بالنقص .. ولكني اقول
لا لكم .. لكن اقول

للقرى الأطلال ، للوادي المدمى ، للسهول

ليس حسبي

انني اعلنت حبي

لبلادي ولشعبي

وأنا اعلم ان الموت بالمرصاد ،

في عطفة درب !

ليس حسبي

انني اعلنت حبي

وأنا اعلم اني

ما دفعت الثمن الكافي لقبر في الوطن !

ليس حسبي اضعف الايمان ،

لكني اغني ..

نحن ما زلنا .. وما زال الزمن !

الموت في الوعي الكامل

حين تغوص السكة الغريبه
في لحمك المسي يا تراي
تسيل من لحمي انا الدماء
وتغرق الأشياء في الضباب
ويولد البكاء
في لغة الأسرار والعجيبه !

عاد

عاد من رحلته الفصول
بالأناشيد والوعود
ويشيعون انه كان أيامها يقول :
في شقوق الدجى أعود !

.

ويشيعون انهم ،
سمعوا في الدجى عويل
وعواء من الحدود :
من ترى يعرف القتيل ؟

آخر ما سمعته منه

لا تقل : « اخطات فاغفر خطاي ا »
لا تتكلم ا

لا تقل .. للمرة العشرين ،

أبصرت إلهاً يتحطم

آن ان نصنع شيئاً ما

بلا لغط .. أتفهم ؟

آن ان نتقن اسرار جهنم

* * *

ومضى . لا تسألوا أين ؟

فاني لست اعلم !

آه .. لو يعرف اني بعده

اتقنت اسرار جهنم !

وصيه

اسندوني . اذا قتلت . بصخره
وارفعوا لي وجهي ازاء الرياح
واتركوني أفنى لآخر ذره
في غيوم الدجى وعشب الصباح !
* * *

واذا متّ في الفراش ، ادفنوني
عارياً . فوق قمة من بلادي
وليرحني النسيان . او فاذكروني
ان ذكرتم .. اجل الاعياد !

حديث لسميح القاسم نشاتي

ولدت بالاردن في مدينة الزرقاء عام ١٩٣٩ ، من عائلة قروية . وانهيت الدراسة الابتدائية في بلدة « الرامة » بالجليل . وخلال دراستي حصلت النكبة عام ١٩٤٨ . اعتبر ميلادي الحقيقي سنة ١٩٤٨ . لأن الصور الاولى التي أذكرها هي صور احداث ١٩٤٨ .

أول ما أذكره من الحالات ، ذلك العام ، هو : فرح الناس العرب بدخول « جيش الانقاذ » الى فلسطين . ثم دموع هؤلاء الناس عندما انسحب هذا الجيش . لن أنسى تلك الصور أبداً . أذكر تماماً ذلك الانسحاب غير المنتظم ، الضباط يركبون

السيارات ، والجنود مشياً على الأقدام . أكثر من ليلة كنا ننام ونحن لابسون ثيابنا ومستعدون للرحيل .

أذكر الجنود الاسرائيليين يخلعون الأبواب ، ينهبون البيوت ، وبصنّفون السكان الى مسيحيين ودروز !!... وكانت هذه بداية السياسة الطائفية التي لا تزال السلطات الاسرائيلية تواصلها حتى اليوم .. طردوا المسيحيين من القرية ، فكانت مناحة بالنسبة للجميع .. ولكن سكان « الرامة » طرحوا بحزم هذه القضية : اما أن نرحل كلنا أو نبقي كلنا ! فبقوا كلهم . ولكن الجنود الاسرائيليين كانوا قد نهبوا المخازن والمنازل . وحاولوا الايحاء بأن الدروز هم الذين نهبوا المخازن ، ففشلت خطتهم !... وضع الجنود الاسرائيليون علامات فارقة على بيوت الدروز تهدف عدم تفتيشها ، وللبداء بسياسة التمييز بين السكان ... ولكن الأطفال العرب وضعوا العلامات نفسها على بيوت المسيحيين ، ففشلت أيضاً خطة الاسرائيليين !

انتهت دراستي الثانوية في « الناصرة » . ان وجودي في

مدرسة تضم طلاباً من كل الطوائف كان له أثر حاسم في توجيهي السياسي . وبدأت ، في المدرسة ، اشتراك بالحركات الاضرابية والاجتماعية . سنة ١٩٥٦ حصلت اضرابات واسعة استنكاراً للعدوان على مصر . وسنة ١٩٥٨ قامت مظاهرة ضخمة في أول أيار ، اشتركت فيها الالوف ، وحدثت اصطدامات دامية مع البوليس ، جرح كثيرون في ساحة الناصرة .. سميت هذه الساحة : « الساحة الحمراء » . طبعاً كنت من المشاركين في هذه المظاهرة .

تجربة اولى

سنة ١٩٥٤ او ١٩٥٥ كتبت موضوع انشاء .. وفوجئت بأن الاستاذ يلفت نظري الى بعض مقاطع في هذا الموضوع قال عنها : انها شعر! .. دهشت! .. سهرت بعدها عدة ليال أحاول كتابة الشعر ... فشلت .. أخذت أقرأ شعراً كثيراً .
الغريب ان أول كتاب دفعني الى طريق الشعر هو كتاب للشاعر علي محمود طه بعنوان « أرواح شاردة » عن حياة بعض

شعراء العالم ، منهم : بودلير ورامبو وشيلي .. أذكر أن الكتاب كان بدون جلد غلاف .. وقد أثر بي كثيراً .

وكانت بداياتي الشعرية تختلف عن بدايات غيري ، فمن عادة الشباب ، في مطلع عمرهم ، ان يكتبوا الشعر الغزلي .. اما أنا فقد كتبت عن « الحرب » وعن « العامل » و « المطر » . والجو العام لتلك القصائد كان متفائلاً . اعتبر نفسي انني لم اكتب الغزل . أوائل قصائد محمود درويش كانت غزلاً ، حسيّاً ، كان يصور المرأة كواقع حسي وليس كحلم رومنتيكي ، انه أشبه بنزار قباني .

في تلك الفترة كان المضمون السياسي لشعرنا غامضاً . في اعماقه كان شعراً واقعياً ، ولكن دون وعي بهذا . من قصائدي في تلك الفترة : قصيدة عن لبنان مثلاً ، وعن الجزائر .

التمييز الطائفي الذي تمارسه السلطات الاسرائيلية بين الدروز وغيرهم — بالنسبة انا من عائلة درزية — هذا التمييز مارس تأثيراً سلبياً على شعري من الناحية الفنية : كان لا بد ان

أكتب شعراً مباشراً ضد هذه الظاهرة ، وأطرح شعارات كثيرة ، وأصرخ .. ان ظاهرة الطائفية هذه كانت عبئاً آخر في المعركة الى جانب أعباء المعركة القومية والاجتماعية. فكنت أجد نفسي ملزماً بكتابة هذا النوع من الشعر ، اليومي .

دراويني

دواويني الصادرة حتى الآن هي : « مواكب الشمس » ١٩٥٨ - « أغاني الدروب » ١٩٦٤ - « إرم » ١٩٦٥ « دمي على كفي » ١٩٦٧ - « دخان البراكين » ١٩٦٧ .

ولا بد أن أشير هنا الى الفرق الواضح بين ديواني الأول وديواني الثاني .. ففي هذا الأخير انطلاق أكثر الى مجالات أوسع ، ووضوح سياسي أكثر ، من حيث التعبير عن الترابط بين حركة التحرر العربية والحركة الثورية العالمية . وقد قيل انه يشكل ، فنياً ، قفزة بالنسبة للديوان الأول ، وينعكس فيه تأثري ، الفني ، بالكتب الدينية : القرآن والتوراة ، وأنا بالفعل اتذوق هذه الكتب كأعمال فنية . وأرى

ان « نشيد الانشاد » من أجمل ما كتب من شعر .
أكثر قصائد الديوان الأول صيغت في شكل الشعر العمودي .
أما قصائد الديوان الثاني فقد صيغت كلها بالشكل الحديث
للأوزان في الشعر العربي .
ولكن طبيعة أوطاننا ، ومهاتنا ، كانت تفرض علينا ،
عفوياً ، أن نحافظ في شعرنا الحديث على الإيقاع والأوزان ذات
التأثير الجماهيري . واقدم لكم على هذا بعض الأمثلة ، من شعر
رفاتي ومن شعري .

فتوفيق زياد ، مثلاً ، يخاطب أبناء وطنه المكافحين :

أناديكم
أشد على أياديكم
أبوس الأرض
تحت نعالكم
واقول أفديكم «

ويصرخ محمود درويش بوجه ممثل السلطة الاسرائيلية :

« مسجل
أنا عربي
أنا اسم بلاد لقب
وعنواني
أنا من قرية عزلاء منسية
وكل رجالها في الحقل والحجر
يحبون الشيوخ فيه »

وأقول في قصيدة لي بعنوان « هذا الطريق » :

« أبدأ على هذا الطريق
راياتنا بصر الضمير ، وصوتنا أمل الفريق
أبدأ جحيم عدونا ، أبدأ ، نعيم للصديق
بضلوع موتانا نشير الخصب في الأرض اليباب
بدمائنا نسقي جنينا في القراب
ونزد حقلأ شاخ فيه الجذع ، في شرخ الشباب
أبدأ على هذا الطريق

فدوى أشواق سنبله

على وعد العطاء

ونصيح في عرس الفداء

أبدا على هذا الطريق .

شرف السواقي انها تفنى ، فدى النهر العميق ،

... بهذه الأشكال ، كانت أشعارنا تصل الى الشعب ،

وتؤدى دورها .

في عام ١٩٦٥ اصدرت قصيدة طويلة بعنوان « إرّام »

اتخذتها رمزاً للسعادة والكدر ، وتعتبر هذه القصيدة الطويلة

علامة كبيرة في تطوري ، وقد أثارت نقاشاً واسعاً . الأوزان

في هذه القصيدة استعملتها حسب محتوى كل مقطع بما يتناسب

مع سرعة او بطء حركة هذا المحتوى نفسه .

في مطلع عام ١٩٦٧ صدر ديواني الرابع « دمي على كفي » .

لعل المسافة الفنية بين مجموعاتي الشعرية واضحة ، فأنا احاول ،

قدر الامكان ، ان أضع قصائد متجانسة فنياً في المجموعة الواحدة

وان تشكل خطوة جديدة في شعري .

في هذا الديوان ميل الى القصائد المركبة ، المتعددة الأصوات ،
أشبه بالقصص او المسرحيات ، هذا الميل الذي تركز اكثر في
ديواني الأخير « دخان البراكين » ..

هذا الديوان الأخير صدر بعد حرب ١٩٦٧ . ولا بد أن
أشير هنا الى ما يميز شعرنا بعد حزيران : لقد خرجنا من السجن
بعد شهر من الأحداث الفاجعة . كتبنا قصائد فيها مرارة
والم ... ونحن ، في الداخل ، اكثر الناس الذين يحق لهم الشعور
لعميق المرارة والتعبير الفاجع عنها ، لأن آمالنا كانت كبيرة
جداً .. عبرنا عن هذه المرارة ولكن ليس بنغم فاجع يائس .

فالى جانب قصائد الصمود في ديوان « دخان البراكين »
هذا ، وضعنا قصائد تتضمن نقداً ذاتياً مرأ ، منها مثلاً قصيدة
بعنوان « التعاويذ المضادة للطائرات » ، وهي ليست عن
أحداث ٥ حزيران مباشرة ، بل هي عودة الى ذكريات عام
١٩٤٨ .. قصيدة ثانية لي بعنوان « الرجل الذي زار الموت »
تصور المناضلين الفدائيين ، وهي الوجه الآخر ، المشرق ،
للمرارة . وقد منعت الرقابة نشرها في هذه المجموعة .

فهرست

٥	ولو !
٦	ينبغي
٨	المؤمنه
٩	ديمومة
١١	العائد
١٣	سقوط الأفتنة
٢٢	كلمة السر
٢٧	لم أزل
٢٨	صحو
٢٩	الشفة المقصودة
٣٠	مق ؟
٣٢	حلول
٣٥	سمعتهم
٣٦	الجواب
٣٧	إذا لم
٣٨	أبدية
٣٩	خبز

وطن العجائب السبعين
ركض في الساحات

قصائد مهربة

١ - وداع ١٩٤٨

٢ - فلسطينية في صوفيا

٣ - الجواب

٤ - وداع في صوفيا

٥ - حدث في الخامس من حزيران

٦ - يا قبصر الروم

٧ - طائر الرعد

قتلى محض باطل

قصائد

مكافأة ...

أنا ضمير المتكلم

انتظرنني

بطاقه تذكير

الموت في الوعي الكامل

عاد

آخر ما سمعته منه

وصيه

شعر
من منشورات دار الآداب

ق. ل		
٣٠٠	فدوى طوقان	وجدتها
٣٠٠	» »	وحدي مع الايام
٢٥٠	» »	اعطنا حباً
٢٠٠	» »	امام الباب المغلق
٢٥٠	صلاح عبد الصبور	الناس في بلادي
٢٥٠	» »	أقول لكم
٢٥٠	» »	أحلام الفارس القديم
٣٠٠	» »	مأساة الحلاج
٢٥٠	عبد الوهاب البياتي	سفر الفقر والثورة
٢٠٠	» »	الذي يأتي ولا يأتي
٢٠٠	» »	اباريق مهشمة
٢٥٠	أحمد حمجازي	لم يبق إلا الاعتراف
٣٠٠	خليل حاوي	بيادر الجوع
٦٠٠	ادونيس	المسرح والمرايا
٢٥٠	محمود درويش	عاشق من فلسطين